قافية الميم

[١]

يَجْنِي الغِنَى لِلِّئام لو عَقلُوا ما ليسَ يجنى عَلَيْهِمُ العَدَمُ

المناسبة: هذا هو البيت العاشر من قصيدة قالها يمدح على بن إبراهيم التنوخي.

اللغة: اللئام: جمع لئيم وهو الدنيء الأصل الشحيح النفس نقيض الكريم. العَدَم (بفتح العين والدال، وبضم العين وسكون الدال وبضمها): الفقر وقلة المال. ويجنى: يجر.

الفكرة التى يدور حولها المثل: غنى اللئيم يجنى عليه مالا يجنيه الفقر.

نثر المثل: يقول: إن غنى اللئيم - لو علم - يجني عليه مالا يجنيه الفقر، لأن الفقر يقطع عنه الطمع، ولا يظهر لؤمه، لأنه لا يُقْصَد فى حاجة، أما الغنى فهو يُظهر لؤمه لأن الأطماع تتصل به ولؤمه يمنع من تحقيقها فيتوجه عليه الذم.

[٢]

ودَهْرٌ نَاسُهُ نَاسٌ صِغَارٌ وإنْ كَانَتْ لَهُمْ جُثَثٌ ضِخامُ

وما أنا مِنْهُمُ بالعَيْش فِيهِم ولكن مَعْدِنُ الذَّهَب الرِّغامُ

المناسبة: هذان البيتان هما الثاني والثالث من قصيدة قالها يمدح المغيث بن عبد الله العجلي، ومطلعها:

فُؤادٌ ما تُسَلّيه المُدَامُ وعُمْرٌ مثلما تَهَبُ اللئامُ

اللغة: جثث: جمع جثة وهى جسم الإنسان، الرَّغام: التراب. المعْدِن: مكان الإقامة، ومنشأ الجواهر. وعَدَن بالمكان: أقام فيه.

الفكرة التى تناولها البيتان: أهل الدهر والعيش فيهم.

نثر البيتين: يقول عن أهل دهره: إنهم صغار الأقدار والهمم، وإن كانوا ضخام الأبدان كما قال حسان بن ثابت:

لا عَيْبَ بالقومِ من طُولٍ ومن قِصَرٍ جِسْمُ البغالِ وأحلام العصافيرِ

ثم يقول: لست من هؤلاء الناس الذين ذكرتهم، وإن عشت فيما بينهم مثلي في ذلك مثل الذهب الذى معدنه التراب، ثم لا يعد - بكونه فيه - منه.

[٣]

خليلك أَنْتَ لا مَنْ قُلْتَ خِلِّي وإن كَثُرَ التَّجَمُّلُ والكلامُ

المناسبة: وهذا هو البيت السابع من القصيدة السابقة.

اللغة: الخليل: الصديق. والواحدة خليلة. وقد جاء فى الكتاب العزيز: ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[الزخرف: ٦٧].

الفكرة التى يدور حولها المثل: خليل الإنسان نفسه.

نثر المثل: يقول: لا صديق لأحد - على الحقيقة - إلا نفسه، وليس من تقول: هو خليلي - خليلًا لك، وإن كثر تملقه، ولان لك قولُه.

[٤]

ولَوْ حِيزَ الحِفاظُ بغيْرِ عَقْلٍ تجَنّبَ عُنْقَ صَيْقَلِهِ الحُسَامُ

المناسبة: وهذا هو البيت التالي للبيت. السابق من قصيدته.

اللغة: الحِفاظ: المحافظة على الحقوق ورعي الذمام. والصَّيقل: الذى يعمل السيوف ويصقلها. والحسام السيف القاطع.

الفكرة التى يدور حولها المثل: من لا عقل له ليس له حفاظ.

نثر المثل: يقول: لو كان فى الإمكان أن يحافظ مالا عقل له على الوفاء ورعى الذمام لكان السيف إذا ضرب به عنق صيقله لا يقطعه.

والمراد: أنهم لا عقول لهم، ولذلك ليس لهم حفاظ.

[٥]

وشِبْهُ الشَّيءِ مُنْجَذِبٌ إليه وأشبهُنا بدنيانا الطَّغَامُ

المناسبة: وهذا البيت تالٍ للبيت السابق فى قصيدته التى ذكرنا مناسبتها.

اللغة: الطّغام: أراذل الناس وغوغاؤهم وسِفلتهم.

الفكرة التى يتناولها المثل: شِبْه الشيء منجذب إليه.

نثر المثل: إن الشيء يميل إلى شبهه، والدنيا خسيسة، فلذلك أَلِفَتْ الخساس؛ لأنهم أشباهها فى اللؤم والخسة، والشكل إلى الشكل أميل.

[٦]

ولَـوْ لَـمْ يَـعْـلُ إلَّا ذو مَحَلٍّ تَعَالَى الْجَيْشُ وانحطّ القَتَامُ

المناسبة: هذا البيت تالٍ للمثل السابق فى قصيدته التى نوهنا بذكر سببها.

اللغة: ذو محلّ: أى ذو مَنْزِلة رفيعة. وتَعَالَى: ارتفع. والقَتَامُ: الغبار.

الفكرة التى يدور حولها المثل: العلو فى الدنيا لا يدل على شرف المحل.

نثر المثل: يقول: إن علوهم فى الدنيا لا يدل على محلهم واستحقاقهم، ولو كان كذلك لما ارتفع الغبار فوق الجبين.

[٧]

ولَـوْ لَـوْ يَـرْعَ إلا مُسْتَحِقٌّ لِـرُتْـبَـتِـه أَسَـامَـهُـم الـمُـسَـامُ

المناسبة: وهذا البيت تالٍ للبيت السابق من القصيدة التى نوهنا بذكرها من قبل.

اللغة: يَرْعَ: أي يكون راعيًا للشعب متوليًا أمره. أسامهم: تولى القيام برعيهم. والمُسَام الرعية التى تسام كالسائمة فى المرعَى. وقوله: «أسامهم» يقصد الملوك الذين ذكرهم فى أوائل القصيدة بقوله: أرانب غير أنهم ملوك...

الفكرة التى يتناولها البيت: لو كانت الولاية بالاستحقاق!

نثر البيت: يقول: لو كانت الإمارة بالاستحقاق لوجب أن يكون أولئك الملوك رعية، ورعيتهم ملوكًا يسوسونهم؛ لأنهم أحق منهم بالملك.

وقال ابن فورجة: «المُسَام» المال المرْسَلُ فى مراعيه.

يقول: هؤلاء - ملوك عصره- شر من البهائم، فلو كانت الولاية بالاستحقاق لكان الراعى لهم البهائم، لأنها أشرف منهم وأعقل!.

[٨]

ومن خَبَرَ الغَواني فالْغَوَاني ضِياءٌ في بواطِنِه ظلامُ

المناسبة: وهذا المثل تالٍ للمثل السابق من القصيدة التى نوهنا بذكرها.

اللغة: الغوانى: جمع غانية وهى التى غنيت بحسنها عن التجمل.

الفكرة التى يتناولها المثل: ما تكشف عنه الخبرة بالغواني.

نثر المثل: يقول: من جرب الغواني، فالغواني ضياء فى الظاهر، ظلام فى الباطن. يريد أنهن يُتْعبن من يصبو إليهن ويعلق قلبه بحبهن.

[٩]

وما كُلٌّ بِمَعْذُورٍ بِبُخْلٍ ولا كُلٌّ على بُخْلٍ يُلَامُ

المناسبة: هذا هو البيت الرابع عشر من القصيدة التى أشرنا إليها من قبل.

الفكرة التى يتناولها المثل: ليس كل أحد يعذر إذا بخل.

نثر البيت: قال الواحدي: يقول: ليس كل أحد يعذر إذا بخل، لأن الواجد الغنى لا عذر له فى البخل والمنع، وليس كل أحد يلام على البخل؛ فإن المعسر المحتاج إلى ما فى يده لا يلام فى بخله.

ووجه آخر وهو: أن الذى لا يعذر فى بخله: من ولدته الكرام. والذى لا يلام على بخله من كان آباؤه لئامًا بخلاء لم يتعلم غير البخل، ولم ير فى آبائه الجود والكرم؛ فيكون هذا من قول أبي تمام:

لكُلِّ مِنْ بَني حَوّاء عُذْرٌ ولا عُذْرٌ لطائيٍّ لئيم!

وقال ابن جني هو من قول أبي نُواس:

كفى حَزَنًا أن الجَوادَ مُقَتَّرٌ عليه ولا مَعْرُوفَ عند بخيلِ

[١٠]

تَلَذُّ له المروءَةُ وهي تُؤْذِي ومَنْ يَعْشَقْ يَلَذُّ له الغَرامُ

المناسبة: هذا هو البيت الثالث والعشرون من القصيدة السابقة.

اللغة: المروءة: الكرم. الغرام: الملازمة، والعذاب الدائم. والتعلق بالشيء تعلقًا لا يستطاع التخلص منه. ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴾ [الفرقان: ٦٥]

الفكرة التى يدور حولها البيت: لذة الكرم.

نثر البيت: يقول: المروءة تؤذي صاحبها بما فيها من التكاليف، وهى مع هذا تلذ له كالعشق لذيذ مع ما فيه من النَّصَبِ والعذاب، كما قال المتنبي:

والعشقُ كالمعشوقِ يَعْذُبُ قُرْبه ... للمبتَلِى وينالُ من حَوْبائه

[١١]

وقبضُ نَوَالِه شرفٌ وعِزٌّ ... وقبضُ نَوالِ بعض القَومِ ذامُ

المناسبة: مازالت أبيات الحكم تتوالى فى هذا القصيدة وهذا هو البيت السابع والعشرون منها.

اللغة: النوال: العطاء. الذّامُ: المذمة والعيب.

الفكرة التى يدور حولها المثل: قبول عطاء الكريم شرف وعز وليس كذلك اللئيم.

نثر المثل: إن قبول عطائه شرف وعز لآخذه، أما قبول عطاء غيره من اللئام فهو عار، وهذا كقول أمية:

عطاؤك زين لامرىء إن أَصَبْتَهُ ... بخير وما كل العطاء يَزِينُ

وليس بعارِ لامرىء بذلُ وَجْهِهِ ... إليك كما بعض السؤال يَشِينُ

[١٢]

أقامَتْ فى الرقابِ له أيادٍ ... هى الأطواق والناسُ الحمَامُ

المناسبة: وهذا المثل تالٍ للمثل السابق وهو آخر الأمثال من القصيدة التى أشرنا إليها آنفًا.

اللغة: الأيادي: النعم. والحمام: اسم جاع لذوات الأطواق من الطير كالقمارى والفواخت وساق حر.

الفكرة التى يدور حولها المثل: إحاطة النعمة بالرقاب.

نثر المثل: يقول: إن نعمه وأياديه لازمة لرقاب الناس لا تفارقها كما تلزم الأطواق الحمام. يعنى أن الناس تحت مننه وأياديه، وهذا كما قال السريّ الرّفاء:

وطَوَّقْتَ قومًا فى الرقاب صنائعًا كأنهُمُ منها الحَمَامُ المُطَوّقُ

[١٣]

لا افتخارٌ إلا لِمَنْ لا يُضَامُ مُدْرِكٍ أو مُحَارِبٍ لا ينامُ

المناسبة: هذا مطلع قصيدة قالها يمدح علىَّ بنَ أحمد المرّيّ.

اللغة: لا يضام: لا يذل.

الفكرةالتى يدور حولها المثل: إنما يفخر من لا يُظْلَم.

نثر البيت: يقول: لا فخر إلا لمن لا يظلم لامتناعه وقوته على دفع الظلم فهو إما مدرك ما طلب، أو محاربٌ لا ينام ولا يغفل حتى يدرك مطلوبه.

[١٤]

ذَلّ من يَغْبِطُ الذليلَ بِعَيْشٍ رُبَّ عَيْشٍ أَخَفُّ منه الحِمامُ

المناسبة: وهذا هو البيت الرابع من القصيدة السابقة.

اللغة: غبط الرجلَ يغبطه: إذا تمنى أن يكون مثله دون أن يتمنى زوال نعمته. وإلا كان حسدًا. والحِمام: الموت.

الفكرة التى يدور حولها المثل: الموت فى العِزّ خير من العيش فى الذل.

نثر المثل: يقول: من عاش فى ذل فليس له عيش يغبط عليه، ومن غبطه على ذلك العيش الذليل فهو ذليل؛ لأن الموت فى العز أخف من العيش فى الذل.

[١٥]

كُلّ حِلْمٍ أتى بغير اقتدارٍ حُجّةٌ لَاجِئٌ إليها اللئامُ

المناسبة: هذا هو البيت الخامس من القصيدة السابقة.

اللغة: اللئيم: الخسيس ضد الكريم.

الفكرة: حلم الضعيف عجز.

نثر البيت: يقول: إن الحلم إذا لم يكن عن قدرة كان عجزًا، وهو حجةٌ يحتج بها اللئام يُسُّمون عجزهم عن مكافأة العدو حلمًا كما قال الآخر:

[١٦]

من يَهُنْ يسْهُلُ الهَوَانُ عليه ما لِجُرْحٍ بميِّتٍ إيلامُ

المناسبة: هذا هو البيت التالي للبيت السابق من القصيدة التى مطلعها رقم١٢.

اللغة: يَهُن: يذل.

الفكرة: لا يقبل الذل إلا من هانت عليه نفسه.

نثر البيت: يقول: إذا كان الإنسان هينًا فى نفسه سهل عليه احتمال الهوان كالميت الذى لا يتألم بالجراحة.

[١٧]

إن بعضًا من القريض هُذَاءٌ ليس شيئًا وبعضُه أحكام

المناسبة: هذا هو البيت الذى قبل الأخير من القصيدة السابقة.

اللغة: القريض: الشعر. الهُذاء: الهذيان. وهو القول الذى لا فائدة منه. والأحكام: جمع حكم بمعنى حكمة.

الفكرة: إن من الشعر لحكمة، ومنه هذيان.

نثر البيت: إن بعض الشعر هذيان وبعضه حكمة.

[١٨]

إلى مثلِ مَا كانَ الفَتَى مَرْجِعُ الفَتَى يَعُودُ كما أُبْدِي ويُكرى كما أَرْمَي

المناسبة: ورد على أبى الطيب كتاب من جدته لأمه تشكو شوقها إليه وطول غيبته عنه فتوجه نحو العراق، ولم يمكنه وصول الكوفة على حالته تلك، فانحدر إلى بغداد، وكانت جدته يئست منه، فكتب إليها كتابًا يسألها المسير إليه، فقبلت كتابه وحُمّت لوقتها سرورًا به، وغلب الفرح على قلبها فقتلها، فقال يرثيها:

ألَا لا أرى الأحداثَ مدحًا ولا ذَمًّا فما بَطْشُها جَهْلًا ولا كَفُّها حِلْمًا

وهذا البيت هو البيت الثاني من هذه القصيدة.

اللغة: الأحداث: نوب الدهر ومصائبه. والبطش: الأخذ بغلبة وقوة. وأبدى: هى أبْدِئ. أى أبدأه الله وخلقه. ويكرى: ينقص، وأرْمَى: أربى وزاد.

الفكرة التى يدور حولها المثل: كل منا يرجع إلى مثل ما كان عليه.

نثر المثل: يقول: إن كل واحد منا يرجع إلى مثل ما كان عليه من العدم، ويعود إلى حالته الأولى كما أُبْدِئ، وينقص ما حدث فيه من الحياة كما زاد، وإذن لا ذنب للحوادث حتى أذمها أو أمدحها.

[١٩]

من الحِلْم أن تَسْتَعْمِلَ الجهلَ دونَه إذا اتّسَعَتْ فى الحِلْم طُرْقُ المظالِم

المناسبة: هذا هو البيت التاسع من قصيدة قالها يمدح الأمير أبا محمد الحسن بن عبيد الله بن طغج بالرملة.

اللغة: الحِلْم: الأناةُ والعقل. والجهل هنا نقيض الحلم. والمظالم جمع المظْلِمة (بكسر اللام) وهى الظلم.

الفكرة: من الحِلم أن تجهل.

نثر المثل: يقول: إذا كان حلمك داعيًا إلى ظلمك، فإن من الحلم أن تجهل لأن الحِلْم إنما يُلْجأ إليه لتدارك الشر؛ فإذا تفاقم به الشر، ولم يتدارك الشر إلا بالجهل كان الجهل حلمًا.

فلاَ خَيرَ فى حِلْمٍ إذا لم يَكُنْ لَهُ بـوادِرُ تَحْمِى صفْوَهُ أن يُكَدَّرا

وهذا معنى قديم تداوله الشعراء وغير الشعراء.

[٢٠]

لو كان يُمْكِنُنِي سَفَرْتُ عن الصِّبَا فالشَّيْبُ من قَبْلِ الأوانِ تَلَثُّمُ

المناسبة: سار أبو الطيب من الرملة يريد أنطاكية فى سنة ست وثلاثين وثلاثمائة فنزل بطرابلس، وبها إسحاق بن إبراهيم الأعور بن كيغلغ، وكان جاهلًا، وكان يجالسه ثلاثة نفر من بنى حيدرة، وكان بينه وبين أبى الطيب عداوة قديمة، فقالوا له: أتحب أن يتجاوزك ولا يمدحك، وجعلوا يغرونه، فراسله أن يمدحه، فاحتج عليه بيمين لحقته لا يمدح أحدًا إلى مدة، فعاقه عن طريقه ينتظر المدة، وأخذ عليه الطريق، وضبطها، ومات النفر الثلاثة الذين كانوا يغرونه فى مدة أربعين يومًا فهجاه أبو الطيب، وأملاها على من يثق به، فلما ذاب الثلج خرج كأنه يسير فرسه، وسار إلى دمشق، فأتبعه ابن كيغلغ خيلًا ورجلًا فأعجزهم، وظهرت القصيدة وهى:

لِهَوَى النفوسِ سَرِيرةٌ لا تُعْلَمُ عَرَضًا نَظَرْت وخِلْتُ أني أسْلَمُ

وهو يريد بهذا المطلع: أنه نظر إليها عرضًا، وظنّ أنه سلم من هواها. والبيت الذى معنا هو البيت الخامس من هذه القصيدة.

اللغة: سَفَرْتُ: كَشَفْتُ عنه. التَّلَثُّم: كشف الوجه.

الفكرة التى يتناولها البيت: الشيب قبل الأوان.

نثر المثل: يقول: لو أمكنني أن أظهر صباي لكشفت عنه، فإني حدَثُ السن، ولكن الشيبَ جار عَلَيَّ عاجلًا فستر شبابي فكأنه تلثم بستر ما تحته من سواد الشعر يعنى أن على شبابه لثامًا من الشيب الذى عجل إليه قبل وقته.

[٢١]

والهَمّ يَخْتَرِمُ الجَسِيمَ نَحَافَةً ويُشيبُ ناصيةَ الصَّبِيِّ ويُهْرِمُ

المناسبة: هذا هو البيت السابق من القصيدة آنفة الذكر.

اللغة: يخترم: يقتطع ويستأصِل. والجسيم: العظيم الجسم. والنحافة: الهُزال. والناصية: شعر مقدم الرأس.

الفكرة التى يدور حولها المثل: أثر الهم فى الإنسان.

نثر المثل: إن الحزن إذا استولى على المرء أذهب جسم العظيم الجسد، وهزله، حتى يأتي عليه من الهُزال، ويُشيبُ الصّبي قبل الأوان حتى يصيرَ كالهَرِم من الضعف والعجز.. يشير إلى علة مشيبه، وأن الهمّ هو الذى أشابه كما قال أبو نُواس:

ومَـا إنْ شبتُ من كِبَرٍ ولَكِنْ لَقِيتُ من الـحـوادث ما أَشَابَا

[٢٢]

ذو العَقْلِ يَشْقَى فى النّعِيم بعَقْلِه وأخو الجَهَالَةِ فى الشقاوَة يَنْعَمُ

المناسبة: هذا هوا البيت الثامن من القصيدة السابقة.

الفكرة: شقاء أصحاب العقول بها وتنعم ذوي الجهالة بجهلهم.

نثر البيت: يقول: إن العاقل يشقى وإن كان فى نعمة لتفكيره فى عاقبة الأمور، وحلمه بتحول الأحوال، والجاهل ينعم وهو فى الشقاوة؛ لغفلته، وقلة تفكيره فى العواقب. قال البحتري:

أرى الحِلْم بؤسًا فى المعيشةِ للفتى ولا عَيشَ إلا ما حباكَ به الجهلُ

وقال أبو نصر بن نُباتة:

مَـنْ لـى بعَيْشِ الأغـبـيـاءِ فإنه لا عَيْشَ إلا عَيْشُ مَنْ لَمْ يَعْلَمِ

وقال ابن المعتز:

وحـــلاوَةُ الـدنـيـا لجاهلها ومَـــرَارَةُ الـدُّنـيـا لمن عَقَلا

وقال ابن ميكال:

العَقْل عن دَرْكِ المطالِب عُقْلَةٌ عجَبٌ لأمـرِ العاقِلِ المعْقُولِ

وأخـو الـدِّرايـةِ والنَبَاهَةِ مُتْعَبٌ والعَيشُ عَيْشُ الجاهِلِ المجهولِ

[٢٣]

والنّاسُ قد نَبَذُوا الحِفاظ فمُطْلَقٌ يَنْسَى الذى يُولَى وعـافٍ يَنْدَمُ

المناسبة: هذا البيت من القصيدة نفسها.

اللغة: نبذ الشيء: ألقاه وطرحه. والحفاظ: المحافظة على الحقوق والعهود.

والمطلق: من انطلق من الأسر. وأولاه كذا: أنعم به عليه، وعافٍ: من العفو عن الإساءة.

الفكرة التى يدور البيت حولها: عدم إبقاء الناس على المودة وتساويهم بنكران الجميل، وترك المعروف.

نثر المثل: يقول: إن الناس لم يعودوا يحافظون على الحقوق، ولا يراعون الحقوق، ويتركون عرفان النعم، فمطلق من الإسار ينسى إحسان مطْلِقِه. وعافٍ عن مُسِيء، يندم لما يرى من كفران صنيعته، وعدم شكرها. فقد تساوى الناس بنكران الجميل، وترك المعروف، وهذا من أشد ما يصل إليه انحطاط الأمم أخلاقيًا.

[٢٤]

لا يَخْدَعَنَّك من عـُدوٍّ دَمعُه وارْحَـمْ شبابَك من عَـدُوٍّ تَرْحَمُ

المناسبة: هذا البيت تالٍ للبيت السابق من قصيدته.

الفكرة التى يدور حولها: الانخداع بحيل العدو.

نثر المثل: يقول: لا تنخدع ببكاء عدو يستعطفك، ولا ترحمه وارحم نفسك منه؛ فإنك إن رحمته، وأبقيت عليه، ثم ظفر بك، لم يرحمك، ولم يُبْقِ عليك!

[٢٥]

لا يَسْلَم الشّرفُ الرفيعُ من الأذَى حتى يُـرَاقَ على جوانبه الـدَّمُ

المناسبة: وهذا البيت تالٍ للبيت السابق ومن قصيدته.

اللغة: يُرَاق: يُسْفك.

الفكرة التى يدور حولها: أذى الحُسّاد والمُعَادِين وكيف السلامة منه؟!

نثر المثل: يقول: لا يسلم للشريف شرفه من أذى الحُسّاد والمُعَادِين حتى يقتل حُسّاده وأعداءه، وعندئذ يسلم شرفه؛ لأنه يصيرُ مهيبًا فلا يتعرض له أحد. ويكفي المتنبي هذا البيت.

[٢٦]

يُـؤذي القليلُ من اللئامِ بطَبْعِهِ من لا يَقلّ كما يَـقِـلُّ ويَـلْـوُمُ

المناسبة: وهذا البيت تالٍ لسابقه من القصيدة التى أشرنا إلى مناسبتها.

اللغة: القليل: ليس المراد به القِلّة العددية، وإنما المراد به القِلة المعنوية؛ فهو الخسيس الحقير.

الفكرة التى يدور حولها المثل: طبع الحقير إلحاق الأذى بالكرام.

نثر المثل: إن اللئيمَ مطبوع على أذى الكريم لأنه لا يشاكله فى الحقارة والخساسة.

[٢٧]

ومِـنَ الـعَـدَاوَةِ ما ينالُك نفعُه ومن الصداقَةِ ما يَضُرُّ ويُؤْلِمُ

المناسبة: وهذا البيت من القصيدة السابقة.

الفكرة التى يدور حولها المثل: عداوة الذليل لا تضر.

نثر المثل: عداوة الذليل نافعة؛ لأنها تكشف عن خبثه، وما يضمره ويخفيه من الأذى.

وصداقته تضر ولا تنفع لأنه عندئذ يخفي نياته، ويظهر غير ما يُبطن.

[٢٨]

والظُّلْمُ من شِيَمِ النّفُوسِ فإن تَجِدْ ذا عِـفَّـةٍ فـلِـعِـلَّـةٍ لا يظلمُ

المناسبة: وهذا البيت من القصيدة السابقة لكنه سابق لما قبله.

اللغة: الشِّيَم: الطباع جمع شيمة وهى الخليقة والطبيعة.

الفكرة التى يدور النص حولها: حب الظلم طبيعة الإنسان.

نثر البيت: يقول: إن الناس جُبلوا على الظلم، فإذا رأيت عفيفًا لا يظلم؛ فإنما تركه الظلم لعلة كالخوف، والعجز ونحوهما.

[٢٩]

ومن البَلِيّةِ عَـذْلُ من لا يَرْعَوِي عَـنْ غَيِّه وخِطابُ من لا يَفْهَمُ

المناسبة: هذا البيت من القصيدة السابقة التى أشرنا إلى مناسبتها من قبل.

اللغة: العذل: اللوم. ويَرْعَوِي: يكفّ ويُقلع. غيّه: جهله وضلاله. ضد الرشد.

الفكرة التى يدور المثل حولها: لوم من لا ينزجر وخطاب من لا يفهم.

نثر المثل: من ألوان البلايا التى تحل بالإنسان: لوم الجاهل الذى لا يرجع عن ضلاله، وخطاب من لا يفهمك ولا يعرف قدرك وشأنك.

[٣٠]

والـذُّلُّ يُظْهِرُ فى الذّليلِ مَـوَدّةً وأوَدّ منه لمن يَـوَدُّ الأرقـم

المناسبة: هذا البيت من القصيدة السابقة التى أشرنا إلى مناسبتها.

اللغة: مودّة: محبة. الأرقم: ضرب من الحيات فيه سوادٌ وبياض. لمن يوَد: أى لمن يظهر له وُده.

الفكرة التى يدور حولها المثل: وَدّ الذليل.

نثر المثل: يقول: إن الذليل يظهر المودة - المحبة لمن أذَلّه؛ ليس بقادر على مواجهة عدوه بالعداوة. والحية الرقطاء أقرب مصافاةً من الذليل إذا أظهر المودة لمن أذَلّه.

قال الواحدى: وهو من قول صالح بن عبد القدوس:

عـدوُّك ذو العقل خير من الـ ـصديق لـك الـوامـق الأحمق

والوامق: المحب.

[٣١]

أفعالُ من تَلِدُ الـكِـرامُ كريمةٌ وفَعَالُ من تَلِدُ الأعاجِمُ أعْجَمُ

المناسبة: وهذا البيت هو خاتمة القصيدة السابقة التى أشرنا إلى مناسبتها.

اللغة: فَعال (بالفتح): الفعل.

الفكرة التى يدور حولها المثل: الفعل يشابه النسب والأصل.

نثر المثل: يقول: إن الفعل يشابه النسب والأصل، فمن كرم نَسَبُه، كرمت أفعاله، ومن كان لئيمَ النسب كان لئيم الفعل. والأعاجم عند العرب لئام، والعرب كرام. ومن هجاه أبو الطيب بهذه القصيدة كان روميًّا.

[٣٢]

وكُـلّ شَجاعةٍ فى المرءِ تُغْنِى ولا مِثْلُ الشجاعة فى الحكيم

المناسبة: هذا البيت والبيتان بعده من أبيات قالها المتنبى وقد كُبِسَتْ أنطاكية فقتل مهره «الطُّخرور» و «الحجر» أمه. ومطلعها:

إذا غـامـرتَ فـى شـرفٍ مـرُومِ فـلا تَـقْـنَـعْ بما دونَ النُّجومِ

اللغة: مَرُوم: مطلوب. تُغْنى: من الغَناء.

الفكرة التى يدور المثل حولها: الشجاعة تغنى صاحبها.

نثر المثل: يقول: إن الشجاعة كيفما كانت، وفيمن كانت مغنية كافية، وإذا كانت فى الرجل الحكيم العاقل كانت أتم وأحسن؛ لانضمام العقل إليها، يعنى أن الشجاعة فى غير الحكيم ليست مثل الشجاعة فى الحكيم.

[٣٣]

وكـم عـائـبٍ قـولًا صحيحًا وآفـتُـه مـن الـفَـهْـم السّقيمِ

المناسبة: ذكرناها فى البيت السابق.

اللغة: الآفة: العاهة، والضمير فى «آفته» للقول.

الفكرة التى يدور حولها المثل: سوء الفهم آفة.

نثر المثل: كثيرًا ما نعيب الأشياء والأقوال وهى غير معيبة، لكن العيب كامن فى داخل النفس، وهذا كما يقول الشاعر:

نعيبُ زمـانـنـا والـعـيـبُ فينا ومـا لـزمـانـنـا عـيـبٌ سِـوانـا

وقول القائل:

ومن يك ذا فَمٍ مُرٍّ مريض يجد مُـــرًّا بـــه الـــمـــاءَ الـــزُّلالا

والمعنى الذى قصدَه المتنبى مأخوذ من قول أبى تمام - وقد قال له أبو سعيد الضرير: يا أبا تمام، لم لا تقول ما يفهمُ الناس؟ فقال له: يا أبا سعيد، ولم لا تفهم ما يُقَال؟!

[٣٤]

ولـكـن تـأخـذُ الآذانُ مِـنْـه على قَـدْرِ القريحةِ والعُلُومِ

المناسبة: وهذا هو البيت الأخير من الأبيات التى ذكرت مناسبتها من قبل.

اللغة: القريحة: فى الأصل أول ما يخرج من البئر حين تحفر، وقريحة الإنسان طبيعته التى جبل عليها لأنها أول خلقته، ويقال: لفلان قريحة جيدة: يراد استنباط العلم بجودة الطبع.

الفكرة التى يدور حولها النص: كل أَحَدٍ يدرك ما يسمع على قدر طبعه وعلمه.

نثر البيت: يقول: إن كل أُذُنٍ تأخذ مما تسمع على قدر قريحة صاحبها وعلمه. يعنى أن الغبىّ الجاهل إذا سمع شيئًا لم يفهمه ولم يعلمه، وكل أحد يدرك ما يسمع على قدر طبعه وعلمه، فإذا عاب إنسان قولًا صحيحًا فذلك لأنه لم يفهمه، وإنما أتى من سُقْمِ قريحته.

وهذا معنى رائع بديع، وهو كثير. قال جل شأنه: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُواْ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ [الأحقاف: ١١]

وقال أبو العلاء المعري:

والنَّجْمُ تستصْغِرُ الأبصارُ صُورتَه والذَّنْبُ للطَّرْفِ لا للنّجم فى الصِّغرِ

الطرف: العين.

[٣٥]

وقـد يَتَزيَّا بالهَوَى غَيْرُ أَهْلِه ويستصحبُ الإنسانُ من لا يُلائمه

المناسبة: هذا هو البيت الثالث من قصيدة قالها يمدح سيف الدولة أبا الحسن على بن عبد الله بن حمدان العدوي، وهى أول ما أنشده سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة عند نزوله أنطاكية من ظفره بحصن بَرْزُوَيه وكان جالسًا تحت فازة من الديباج عليها صورة ملك الروم، وصور وحش وحيوان.

اللغة: التَّزَيِّى: تكلّف الزى وهو اللباس والهيئة. لا يلائمه: لا يوافقه.

الفكرة التى يدور حولها المثل: صحبة من لا يلائم.

نثر المثل: يعّرض بصاحبيه اللَّذَيْن خاطبهما فى مطلع القصيدة بقوله: وفاؤكما كالرّبْع.. إلخ. ويذكر أنهما ليسا من أهل الهوى وإن اتّسَمَا به وتكلفاه. يقول: قد يتكلف الإنسان الهوى وليس من أهله، وفيه تعريض أيضًا بأنهما ليسا من أهل الصحبة حيث قال: قد يسأل الإنسان الصحبة من لا يكون موافقًا له فى أحواله، وهذا يدل على أن صاحبيه لم يفيا له بما عاهدا من الإسعاد.

[٣٦]

قِفِى تَغْرمِ الأُولَى من اللَّحظِ مُهْجَتي بثانيةٍ المتْلِفُ الشيء غارِمُهْ

المناسبة: من القصيدة السابقة، وقد ذكرنا مناسبتها.

اللغة: تغرم: يقال: غرم ما أتلفه: لزمه أداؤه.

الفكرة التى يدور حولها المثل: مُتلف الشيء غارمه.

نثر البيت: يقول: إنه نظر إليها نظرة أتلفت مهجته، فهو يقول لها: قفى لأنظرك نظرة أخرى ترد مهجتى، وتحيينى، فإن فعلت كانت النظرة الثانية غُرْما لما أتلفته النظرة الأولى.

وعلماء أصول الفقه يقولون: الغُرم بالغنم، ويقولون: من أتلف شيئًا فعليه ضمانه. وقد أخذ بعضهم هذا المعنى فقال:

يا مُسْقِمًا جسمي بـأوّلِ نَظْرَةٍ فى النَّظْرَة الأخرى إليك شفائي

[٣٧]

وما خَضَبَ الناسُ البياضَ لأنّه قبيحٌ ولكن أحْسَنُ الشَّعْرِ فَاحِمُه

المناسبة: من القصيدة السابقة.

اللغة: خضب: صبغ بالخضاب. فاحمه: شديد السواد.

الفكرة التى يدور حولها المثل: الناس يطلبون الأحسن.

نثر المثل: يقول: إن البياض فى الشعر حسن، فليس يخضب البياض لأنه مستقبح، ولكن لأن السواد أحسن منه؛ فالخاضب إنما يطلب الأحسن من لونيْ الشعر.

[٣٨]

وَمَاكُلُّ سَيفٍ يَقْطَعُ الْهَامَ حَدُّه وتقطع لَزْباتِ الزّمانِ مكارمُهْ

المناسبة: هذا البيت هو نهاية قصيدته السابقة فى مدح سيف الدولة.

اللغة: الهام: الرؤوس. ولزْبات الزمان: شدائده جمع لَزْبة. أى: شدة وقحط. والجمع لَزْبات (بالتسكين).

الفكرة التى يدور البيت حولها: المكارم تفعل مالا يفعل السيف.

نثر البيت: فى البيت السابق قال: إن الذى سماه عليا قد أنصفه إذ سماه بما يستحقه من الوصف بالعلو. والذى سماه سيفًا قد ظلمه، لأن السيف وإن عظُم أثره فهو جماد، وقد ينبو حد السيف عن قطع الهَام أما الممدوح فإن مكارمه تذهب بشدائد الزمان، وتنفيها عن العباد، فمن أين يشبه فعله فعل السيف حتى يطلق عليه اسمه؟!

[٣٩]

وإذا كانت النُّفُوسُ كبارًا تَعِبَتْ فى مُرادِها الأجسام

المناسبة: هذا هو البيت السادس من قصيدة قالها يمدح سيف الدولة، وقد عزم على الرحيل إلى أَنْطاكية. ومطلعها:

لَيْن أزْمَعْتَ أيُّهذا الهمامُ نحن نبت الرُّبى وأنت الغمام

الفكرة التى يدور البيت حولها: تعب الجسم فى تحصيل مراد النفس الكبيرة.

نثر البيت: يقول: إذا عظمت الهمة، وكبرت النفس، تعب الجسم فى تحصيل مرادها، وذلك أن الهمة تُتعب الجسم فى طلب معالي الأمور، ولا ترضى بالمنزلة الدون، ولا تستريح أو تحصل على الرتب العالية. قال العكبري: وبيت المتنبى من كلام أرسطو: إذا كانت الشهوة فوق القدرة، كان هلاك الجسم دون بلوغ الشهوة.

[٤٠]

فكثيرٌ من الشُّجاعِ التَّوَقّي وكثيرٌ مِنَ البَليغ السَّلامُ

المناسبة: هذا هو البيت الأخير من القَصيدة التى ذكرنا مناسبتها من قبل.

الفكرة التى يدور النص حولها: هكذا تفعل الهيبة!

نثر المثل: يقول: إنْ توقَّاه الشجاع، وحفظ نفسه منه فى الحرب، فذلك منه كثير. أما البليغ فإن أمكنه أن يسلم عليه، فذلك غاية بلاغته، لأن هيبته توجب أن لا ينطق أحد بين يديه.

[٤١]

وماذاك بخلًا بالنُّفوسِ على القَنَا ولكنَّ صَدْمَ الشَّرِّ بالشَّرِّ أحْزَمُ

المناسبة: هذا هو البيت السابع والعشرون من قصيدة قالها يمدح سيف الدولة، وكان قد أمر غلمانه أن يلبسوا وقصد ميَّافارقين من خمسة آلاف من الجند وألفين من غلمانه ليزور قبر والدته وذلك سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة.

اللغة: القَنَا: الرماح.

الفكرة التى يدور حولها المثل: اتقاء الشر بمثله من الحزم.

نثر البيت: يقول: إنهم لم يتحصنوا هم بالدروع، ولم يحصنوا خيلهم بها ضنًّا بنفوسهم أن تنالها أسنة الرماح، فإنهم شجعان لا يبالون بالقتل، غير أنهم يقابلون شر الأعداء بمثله، وذلك فعل الحازم اللبيب، ومن شهد الحرب غير مستعد ولا متسلح كان ذلك خرقًا وهوجًا.

ويريد المتنبي بالشر الأول شر الأعداء، وما جاءوا به، من العدد والأسلحة، وبالثاني ماعرضوهم بمثله، وسماه شرًا للمقابلة. قال تعال: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا ﴾ [الشورى : ٤٠]

[٤٢]

أُعِيذُهَا نظراتٍ مِنْك صادقةً أن تَحْسَبَ الشَّحْم فيمن شَحْمُه وَرَمُ

المناسبة: هذا هو البيت الثالث عشر من القصيدة التى مطلعها:

واحَـرَّ قَلْبَاهُ مِمّن قَلْبُه شَبِمُ ومَنْ بِجِسْمي وحَالِي عِنْدَهُ سَقَمُ

وقد قالها يعاتب سيف الدولة، وأنشدها فى محفل من العرب، وكان سيف الدولة إذا تأخر عنه مدحه شق عليه، وأحضر من لا خير فيه، وتقدم إليه بالتعرض له فى مجلسه بما لا يحب، وأكثر عليه مرة بعد مرة، فقال يعاتبه.

اللغة: الورم: الانتفاخ، والشحم: السِّمَنُ والامتلاء.

الفكرة التى يدور حولها المثل: لا تَحْسَب الوَرَمَ شحمًا.

نثر البيت: قال ابن جني: سألت المتنبى عن الهاء - فى أعيذها - على أى شيء تعود؟ فقال: على النظرات.

يقول: إنك إذا نظرت إلى شيء عرفته على ما هو عليه، فنظراتك صادقة تصدقك، فلا تغلط فيما تراه، فلا تحسب الورم شحمًا. وهذا مثل يقول: لاتَظُنَّ المتشاعر شاعرًا كما يحسب الورم سمَنًا.

[٤٣]

إذا تَرَحّلْتَ عَنْ قَومٍ وقَدْ قَدَروا أن لا تفارقهم فالراحلون هُمُ

المناسبة: وهذا أحدُ أبيات القصيدة التى أشرنا إلى مناسبتها فى رقم ٤١. وهو البيت الثالث والثلاثون.

الفكرة التى يدور حولها البيت: من يُلْجِئُ غيره لفراقه فقد اختار ذاك الفراق.

نثر المثل: يقول: إذا سرت عن قوم، وهم قادرون على إكرامك حتى لا تحتاج إلى مفارقتهم فهم المختارون للارتحال. يريد بهذا إقامة عُذْرِه فى فراقهم. أي: أنتم تختارون الفراق إذا ألجأتموني إليه.

قال التبريزي: إن الرجل إذا فارق أناسًا وقد ظنوا أنه غير مفارق لهم أسفوا وإن تباعدت أنت عنه.

[٤٤]

وما انتفاعُ أخي الدنيا بِنَاظِرِه إذا استوتْ عنده الأنوارُ والظُّلَمُ

المناسبة: وهذا هو البيت الرابع عشر من القصيدة التى ذكرنا مناسبتها فى البيت رقم ٤١

اللغة: الناظر: العين.

الفكرة التى يدور حولها المثل: وجوب التمييز بين الغث والثمين.

نثر المثل: يقول: إذا لم يُمَيز الإِنسان البصير بين النور والظلمة فأى نفع له فى بصره؟!

يعنى يجب أن تميز بيني وبين غيري ممن لم يبلغوا درجتي، كما تميز بين النور والظلمة، لأن الفرق بيني وبين غيري ظاهر ظهور الفرق بين النور والظلمة، فلا ينبغي أن يستويا فى عيني البصير.

[٤٥]

إذا رَأَيْتَ نُيوبَ اللّيثِ بارزةً فلا تَظُنَّنَّ أنّ اللّيْث يَبْتَسِمُ

المناسبة: هذا هو البيت الثامن عشر من القصيدة التى ذكرنا مناسبتها فى البيت رقم ٤١. وفى ديوانه: «إذا نظرت» بدلًا من رأيت و «مُبْتَسِمُ» بدلًا من يبتسم.

اللغة: نُيوب: جمع ناب. الليث: الأسد.

الفكرة التى يدور حولها البيت: إياك أن تنخدع ببعض الابتسامات!

نثر البيت: يقول: إذا كشَّر الأسد عن نابه فليس ذلك تبسمًا بل قصدًا للافتراس. يريد أنه وإن أبدى بشره وتبسمه للجاهل فليس ذلك رضًى عنه؛ وفى مثل هذا يقول أبو تمام:

قَدْ قَلَّصَتْ شَفَتَاهُ من حَفِيظَته فَخِيلَ من شِدَةِ التعبيس مُبْتَسِمَا

[٤٦]

إن كانَ سَرَّكُمُ ما قَالَ حاسِدُنا فما لِجُرْحٍ إذا أَرْضَاكُمُ أَلَمُ

المناسبة: هذا هو البيت السادس والعشرون من القصيدة التى ذكرنا مناسبتها فى المثل رقم ٤١ فليرجع إليه.

الفكرة التى يدور حولها المثل: لا عبرة بقول الحاسد مادام يسر المحبوب!

نثر المثل: يقول: إن سررتم بقول حاسدنا وطعنه فينا، فقد رضينا بذلك إن كان لكم به سرور، فإن جرحًا يرضيكم لا نجد له ألمًا لأن كل سرورنا فى سروركم ورضانا فى رضاكم، وهذا من قول منصور الفقيه:

سُرِرْتَ بِهَجْرِك لَمَا عَلِمْـ ـتُ أَنَّ لِقَلْبك فيه سُرورَا
ولَوْلاَ سُرورُك ما سَرّنى ولا كنتُ يومًا عليه صَبُورا
لأَنّى أَرَى كُلَّ ما سَاءَنى إذَا كانَ يُرضيك سَهْلًا كبيرا

[٤٧]

وبيننا-لو رعَيْتُم ذاك - مَعْرِفَةٌ إنّ المعارفَ فى أَهْلِ النُّهى ذِمَمُ

المناسبة: وهذا هو البيت السابع والعشرون من القصيدة التى ذكرت مناسبتها فى المثل رقم ٤١.

اللغة: المعارف: جمع معرفة. النُّهى: العقول. الذّمم: جمع ذمة وهى العهد.

الفكرة التى يدور حولها المثل: المعارف عند ذوى العقول عهود وذمم لا تضّيع.

نثر المثل: يقول: إن لم يجمْعنا الحب، فقد جمعتنا المعرفة، وذوو العقول يُراعون المعرفة ويقدرونها حق قدرها، والمعارف عندهم عهود وذمم لا يضيعونها.

[٤٨]

شَـرّ الـبـلادِ بـلادٌ لا صديقَ بها وشَرُّ ما يَكْسِبُ الإِنسانُ ما يَصِمُ

المناسبة: وهذا هو البيت الرابع والثلاثون من القصيدة التى ذكرنا مناسبتها فى المثل رقم ٤١.

اللغة: يَصِمُ: يعيب.

الفكرة التى يدور حولها المثل: شر البلاد، وشر ما يكسبه الإِنسان.

نثر المثل: يقول: شر البلاد مكان لا يوجد فيه من يستريح الإنسان إليه، ويأنس بوده. وشر ما كسبه الإِنسان ما عابه وأذله.

يريد: أن هبات سيف الدولة، وإن كثرت مع جلالتها وسعتها، لا تُعادل تقصيره فى حقه، وإيثاره لحساده.

[٤٩]

وشَـرُّ ما قَنَصَتْهُ راحتي قَنَصٌ شُهْبُ البُزاةِ سـواءٌ فيه والرَّخَمُ

المناسبة: هذا البيت هو البيت التالى للبيت السابق من القصيدة التى ذكرنا مناسبتها فى المثل رقم ٤١.

اللغة: الشهب: جمع أشهب، وهو ما فيه بياض يصدعه سواد. والرخم: طائر من الجوارح الكبيرة الجثة الوحشية الطباع غزير الريش، أبيض اللون، مبقع بسواد. والواحدة: رخمة. والبزاة: جمع بازٍ: جنس من الصقور.

الفكرة التى يدور حولها المثل: مشاركة اللئام فى العطاء.

نثر المثل: يقول: شر صيد ما شاركتني فيه اللئام، وهذا مثل - يريد أن سيف الدولة يجريه فى رسم العطاء مجرى غيره من خساس الشعراء؛ أى: إذا ساوانى فى أخذ عطائك من لا قدر له، فأى فضل لى عليه!

[٥٠]

وما تَنْفَعُ الخيلُ الكرامُ ولا القَنَا إذَا لَـمْ يَكُنْ فـوقَ الكِرام كِـرامُ

المناسبة: هذا هو البيتُ الثامنُ من قصيدةٍ قالها وقد ورد فرسان الثغور، ومعهم رسول الروم يطلب الهدنة، وأنشده إياها بحضرتهم وقت دخولهم لثلاث عشرة بقين من المحرم سنة أربع وأربعين وثلاثمائة.

اللغة: القنا: الرماح.

الفكرة التى يدور حولها المثل: لا غَنَاء إلا بالرجال.

نثر المثل: يقول: لا غَناء إلا بالرجال والفرسان، فليس تنفع كرام الخيل، ولا صُمّ الرماح إذا لم يصرفها من الأبطال كرام.

[٥١]

ومَنْ طَلَب الفَتْحَ الجليلَ فإنّما مفاتيحه البِيضُ الخفافُ الصوارم

المناسبة: هذا هو البيت الثامن والعشرون من قصيدة قالها يمدح سيف الدولة ويذكر بناءه ثغر الحدث سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة.

اللغة: البيض: السيوف، والخفاف: المرهفة، والصوارم: القواطع، ومفاتيحه: أى مفاتيح الفتح.

الفكرة التى يدور حولها المثل: مفتاح النصر.

نثر البيت: على من يريد النصر العظيم ويطلبه أن يتخذ العدة له، وما مفتاح النصر إلا السيوف الصارمة!

[٥٢]

وإن كنت لا تُعْطى الذمامَ طواعةً فـعَـوْذُ الأعـادي بالكريم ذِمَـامُ

المناسبة: هذا هو البيت الحادي عشر من القصيدة التى ذكرت مناسبتها فى المثل رقم ٤٩.

اللغة: الذّمام: جمع ذِمّة، وهى العهد.

الفكرة التى يدور حولها المثل: الالتجاء إلى الكريم ذِمامُ.

نثر المثل: إن كنت لا تعطي الروم عهدًا وصلحًا طواعية، فليأذُهم بك يوجب لهم الذمام؛ لأن من لاذ بالكريم وجبت له الذمة، وإن كان عدوًّا، أى فقدحصل لهم ما طلبوا، وإن لم تعطهم.

[٥٣]

وشرُّ الحِمامَيْن الزُّؤامَيْن عِيشَةٌ يَـذِلُّ الـذى يختارُها ويُـضَـامُ

المناسبة: هذا هو البيت الخامس عشر من القصيدة التى ذكرنا مناسبتها فى المثل رقم ٤٩.

اللغة: الزُّؤام: العاجل أو السريع. ويضام: يظلم.

الفكرة التى يدور حولها المثل: عيشة الذل.

نثر المثل: لما جعل عيش الذليل موتًا آخر قال: هو شر الموتين لما فيه من الذل والحيف والهوان.

[٥٤]

ورفَلْتَ فى حُلَلِ الثّناءِ وإنّما عَـدَمُ الـثّـنَـاءِ نهايةُ الإعـدام

المناسبة: هذا البيت هو السادس عشر من قصيدة قالها يمدح سيف الدولة، ويذكر إيقاعه بعمرو بن حابس وبنى ضبّة سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة، ولم يُنْشِده إياها.

اللغة: رفَل يرفُل فى ثيابه إذا أطالها متبخترًا. والحُلَل: جمع حُلّة. قالوا: ولا تكون الحُلةُ إلا ثوبين. وقال ابن شميل: الحُلّة: القميص والإزار والرداء. الإعدامُ: الفقر.

الفكرة التى يدور حولها المثل: قمة الفقر عدم الثناء لا عدم الثراء.

نثر المثل: يقول: إن عليك من الثناء حللا تتبختر فيهن - يريد ثناء الشعراء والمادحين بما أغدق عليهم من نعمه - ونهاية الإعدام «الفقر» عدم الثناء لا عدم الثراء.

[٥٥]

عُقْبَى اليَمينِ على عُقْبَى نَـدَمُ ماذا يَزِيدُك فى إقدامِكَ القَسَمُ؟

المناسبة: هذا البيت هو مَطْلَعُ قصيدة قالها وقد تُحُدِّث بحضرة سيف الدولة أن البطريق أقسم عند ملكه أنه يعارض سيف الدولة فى الدرَب، وسأله أن يُنجده ببطارقته وعدده وعُدده ففعل فخاب ظنه. أنشدها إياه سنة خمس وأربعين وثلاثمائة وهى آخر ما أنشده بحلب.

اللغة: العُقَبى: العاقبة. والقَسَم: اليمين. الإقدام: الشجاعة.

الفكرة التى يدور حولها البيت: الجبان لا يُقْدِم وإن حلف.

نثر البيت: يقول: من حلف على أن عاقبة الحرب له. أى: أنه ظافر لا محالة كانت العاقبة الندم؛ لأنه ربما لا يظفر، والقسم لا يزيد فى الإقدام؛ لأن الجبان لا يُقدم وإن حلف.

[٥٦]

ومَا مَنْزِلُ اللذّاتِ عِندى بمنزِلٍ إذا لَـمْ أُبَـجَّـل عِـنْـدَهُ وأُكَـرَّم

المناسبة: هذا هو البيت الثاني من قصيدة قالها يمدح كافورًا وقد أهدى إليه مهرًا أدهم. فى شهر ربيع الآخر سنة ٣٤٧ هـ.

اللغة: أُبَجَّل: أُعَظَّم وأُحْتَرم.

الفكرة التى يدور حولها البيت: لا تطيب اللذة مع الذِّلة والإهانة.

نثر البيت: يقول: لا أقيم بمكان للذة العيش وطيب الحياة ما لم أكن مكرمًا معظمًا؛ لأنه مع الذُّل لا يطيب لي.

[٥٧]

إذا ساءَ فعلُ المرءِ ساءَت ظُنُونُه وصَـدَّقَ ما يعتادُه من تَوَهُّم

المناسبة: هذا هو البيت الثامن من القصيدة التى ذكرنا مناسبتها فى البيت السابق.

اللغة: يعتاده: ينتابه. و «من توهم» بيان لـ «ما».

الفكرة التى يدور حولها البيت: سوء الظن بالناس وسببه.

نثر المثل: يقول: إذا كان فعل المرء سيئًا قبيحًا ساء ظنه بالناس لسوء ما انطوى عليه، وإذا توهم فى أحد ريبة أسرع إلى تصديق ما توهمه لما يجد من مثل ذلك فى نفسه.

وعبارة الواحدي: المسيء يسيء الظن لأنه لا يأمن من أساء إليه، وما يخطر بقلبه من التوهم على إساءة غيره يصدق ذلك، فكلما سمع عن شخص كلام سوء يظنه فيه لسوء وهمه وفعله، وهو كقول الآخر:

وما فسَدت لي - يشهدُ اللهُ - نِيَّةٌ عليك بل استفسَدْتَني فاتهمتني

[٥٨]

أُصادقُ نَفْسَ المرء من قَبْلِ جِسْمِه وأعْـرِفُـهـا فـى فِعلِه والتّكلُّم

المناسبة: وهذا هو البيت العاشر من القصيدة التى ذكرت مناسبتها فى المثل رقم ٥٥.

اللغة: النفس: يراد بها هنا: المعاني الكريمة والفضائل الإنسانية التى تستشف من الإنسان.

الفكرة التى يدور حولها المثل: صداقة الأرواح قبل الأشباح.

نثر البيت: يذكر لطف حِسِّه، ودقة علمه، وأنه قبل أن يقع بينه وبين من يحبه معرفة يصادق نفسه أولًا، ويستدل عليها بكلامه وأفعاله. قال العكبري: وهذا من قول الحكيم: الائتلاف بالجواهر قبل الائتلاف بالأجسام.

[٥٩]

وأحْـلُـم عن خِلِّي وأعْـلَـم أنه مَتَى أُجْزِه حِلْمًا على الجهل يَنْدَم

المناسبة: هذا البيت يلى البيت السابق فى قصيدته التى ذكرنا مناسبتها.

اللغة: أحلُم: أتأنى وأسكن عند غضب أو مكروه مع قدرة وقوة. وأصفح. خِلى: صديقى. والجهل: الجفاء والتسافه.

الفكرة التى يدور حولها المثل: الصفح عن الخليل.

نثر البيت: يقول: وأصفح عن خليلي علمًا بأنى متى جازيته على سفهه وجهله بالحلم ندم على قبيح فعله فاعتذر إليّ وأعتبني - أرضاني - ورجع إلى مرادي.

[٦٠]

وما كُلّ هاوٍ للجميلِ بفاعِلٍ ولا كُلُّ فعّال له بمتَمِّمِ

المناسبة: وهذا البيت من القصيدة التى ذكرت مناسبتها فى المثل رقم ٥٥.

الفكرة التى يدور حولها المثل: صنع الجميل.

نثر المثل: يقول: ليس كل من أحب الأمر الجميل يصنعه. ولا كل من يصنعه يتمّمُه.

[٦١]

ولم أرْجُ إلا أهلَ ذاكَ ومن يُرِدْ مَوَاطِرَ من غيرِ السحائب يَظْلِمِ

المناسبة: يرجع إليها فى المثل رقم ٥٥.

الفكرة: وضع الرجاء فى موضعه.

نثر المثل: يقول: أنت أهل لأن يرجى لديك ما رجوته، ولم أضَع الرجاء منك فى غير موضعه كمن يرجو مطرًا من غير سحاب، فيقال له: ظلمت: أي وضعت الشيء فى غير محله - حين رجوت المطر من غير موضعه.

[٦٢]

فأحسنُ وجهٍ فى الوَرَى وجْهُ مُحسنٍ وأَيْمَنُ كفٍّ فيهُم كفُّ منعمِ

المناسبة: من القصيدة التى ذكرت مناسبتها فى المثل رقم ٥٥.

اللغة: أيمن: من اليُمن وهو البركة.

الفكرة: وجه المحسن أجمل الوجوه، ويده أيمن الأيدي.

نثر المثل: قال الواحدي: هذا البيت روى عن هجاء له بقبح الصورة، وأنه لا مَنقبةَ له يمدح بها غير أنه إذا أحسن بالإعطاء فوجهه أحسن الوجوه، ويده أيمن الأيدي بالإنعام، وكذلك البيت الذى بعده، الذى يقول فيه:

[٦٣]

وأشرفُهم من كَانَ أشرفَ هِمّةً وأكبرَ إقدامًا على كُلِّ مُعْظَمِ

المناسبة: يرجع إليها فى المثل رقم ٥٥.

اللغة: مُعظَم: أي أمر عظيم.

الفكرة التى يدور حولها البيت: علو الهمة والإقدام شرف من لا شرف له.

نثر البيت: قال الواحدي: يريد أنه خالٍ عما يمدح به الملوك من حسب أو نسب أو شرف تليد - قديم موروث - فإن لم يستحدث لنفسه شرفًا بعلو همة وإقدام لم يكن له خَصْلةٌ يمدح بها.

[٦٤]

لمن تُطْلَبُ الدنيا إذا لم تُرِدْ بها سرورَ مُحِبٍّ أو إساءةَ مُجْرِمِ؟!

المناسبة: هذا البيت يلي البيت السابق من قصيدته التى ذكرت مناسبتها فى المثل رقم ٥٥.

اللغة: لمن: استفهام إنكار.

الفكرة التى يدور حولها المثل: طلب الدنيا والتنافس فيها.

نثر البيت: يقول: إنما تراد الدنيا، ويتناحر عليها، ويتنافس فيها لنفع الأولياء، وضرر الأعداء، وليست تصلح لغير هذين.

قال العكبرى: وهذا من قول الحكيم، إذا لم تَصُنْ بالمال أبناء الجنس، وتقتل به أعداء النفس، فما تصنع بالأعراض؟!

[٦٥]

فَلَمّا صار وُدُّ الناسِ خِبًّا جَزَيْتُ على ابتسام بابتسامِ

المناسبة: هذا هو البيت الثامِنُ مِنْ قصيدة قالها يذكر حُمّى كانت تغشاه بمصر، ويعرض بالرحيل عن مصر فى ذي الحجة سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة.

اللغة: الخِبّ: الخِداع.

الفكرة التى يدور حولها المثل: المعاملة بالمثل عند فساد الوُدّ.

نثر المثل: يقول: لما فسد وُدّ الناس، وصار خداعًا يبشون يوجوههم وكشحهم مُنْطَوٍ على الخُبْث عاملتهم بمثل ما يعاملونني به، فهم يكاشرونني، وأنا أكاشرهم.

[٦٦]

وصِـرْتُ أَشُـكُّ فيمَن أصْطَفِيه ... لِـعِـلْـمـي أنـه بـعـضُ الأنـام

المناسبة: هذا البيت تال لما سبقه من قصيدته التى ذكرت مناسبتها.

اللغة: الأنام: الخلق.

الفكرة التى يدور حولها المثل: الشك فيمن نصطفيهم!

نثر البيت: يقول: لعموم الفساد فى الخلق كلهم صرت إذا اصطفيت واخترت أحدًا لمودتي لم أكن على ثقة من مودته لعلمي أنه من جملة الخلق.

حُكِي عن المتنبي أنه قال: كنت إذا دخلت على كافور أنشده يضحك إليّ ويَبشُّ فى وجهي إلى أن تفرقنا فعجبت من فطنته وذكائه.

[٦٧]

وآنَـفُ مـن أخـى لأبـي وأُمّـي ... إذا مـا لـم أَجِـدْه مـن الـكِـرام

المناسبة: هذا هو البيت الحادى عشر من القصيدة التى ذكرت مناسبتها فى المثل رقم ٦٤.

اللغة: آنف: أستنكف.

الفكرة التى يدور حولها المثل: بغض البخيل وإن كان قريبًا.

نثر المثل: يقول: إننى أبغض أقرب الناس إلىّ وإن كان أخًا شقيقا لي إذا لم يكن كريمًا، لأني أحب الكرام، وأكره البخل والبخلاء.

[٦٨]

أَرَى الأَجـدادَ تَغْلِبُها جميعًا ... على الأولادِ أخـلاقُ اللئام

المناسبة: وهذا هو البيت الثاني عشر من القصيدة التى ذكرت مناسبتها فى المثل رقم ٦٤.

الفكرة التى يدور حولها المثل: خلق اللئيم يغلب أصل الكريم.

نثر المثل: يقول: إذا لؤمت الأخلاق غلبت الأصل الطيب الكريم، حتى يكون صاحبها لئيمًا وإن كان من أصل كريم، كما قال آخر:

أبــوك أبُ حُــر وأُمُّــك حُــرَّةُ وقــد يِلُد الــحُــرانِ غيَر نَجيبِ

[٦٩]

ومَــنْ يَجِدُ الطريقَ إلى المعالِي فــلا يَــذَرُ الــمَــطِــيّ بــلا سَــنَــامِ

المناسبة: هذا هو البيت الخامس عشر من القصيدةالتى ذكرت مناسبتها في المثل رقم ٦٤.

اللغة: المَطِيّ: الإبل. والسنام: ما برز من ظهر البعير.

الفكرة التى يدور حولها المثل: العجب ممن لم ينتهز الفرص المتاحة.

نثر المثل: يقول: عجبت لمن وجد الطريق إلى معالي الأمور فلا يبادر إلى قطعها ليصل إليها، ولا يُتعب مطاياه فى ذلك الطريق حتى تذهب أسنمتها.

وهو بهذا البيت إنما يشير إلى نفسه، ويعرّض بالرحيل عن مصر!

[٧٠]

ولم أرَ فى عُيوبِ الناسِ عَيْبًا كنَقْصِ القادرين على التّمامِ

المناسبة: هذا البيت تالٍ للبيت السابق من قصيدته التى ذكرت مناسبتها فى المثل رقم ٦٤.

الفكرة التى يدور حولها المثل: العيب الواضح بل الفاضح فى الناس.

نثر المثل: يقول: ولا عيب أبلغ من عيب من قدر أن يكون كاملاً فى الفضل فلم يكمل. أى لا عذر له فى ترك الكمال إذا قدر على ذلك ثم تركه. والعيب ألْزَمُ له من الناقص الذى لا يقدر على الكمال. يشير بهذه الأبيات إلى نفسه، ويعرض بالرحيل عن مصر.

[٧١]

ويَــصْــدُقُ وَعْدُها والصدق شَرٌّ إذا ألقاكَ فى الــكُــرَبِ العِظَامِ

المناسبة: هذا البيت هوالسابع والعشرون من القصيدة السابقة التى ذكرت مناسبتها فى المثال رقم ٦٤.

اللغة: الكرب: جمع كربة، وهى الشدة والمحنة.

الفكرة التى يدور حولها المثل: من الصدق ما ضرّ ولم ينفع!

نثر المثل: يقول عن الحُمَّى إنها صادقة الوعد فى الورود - لأنها لا تتخلف عن ميقاتها - وذلك الصدق شر من الكَذِب؛ لأنه صدق يضر ولا ينفع كمن أوعد ثم صدق فى وعيده.

قافية النون

[١]

الحُبّ ما مَنَعَ الكلامَ الألْسُنَا وألَـذُّ شكوَى عاشقٍ ما أعْلَنا

المناسبة: هذا هو مطلع القصيدة التى قالها يمدح بدر بن عمار، وقد سار إلى الساحل، ثم عاد إلى طبرية وكان أبو الطيب قد تخلف عنه، فقال يعتذر إليه.

اللغة: ذهب الشُّرَّاح إلى أن «ما» فى قوله: «الحب ما منع الكلامَ الألسنا»: موصولة بمعنى الذي. و «الألسُنَا»: إما بضم السين جمع لسان، واللسان: الجارحة واللغة أيضًا. قال جل شأنه: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ ﴾[إبراهيم: ٤].

وقد يؤنث ويذكر، فمن أنثه قال فى جمعه: ثلاث ألسن، كذراع وأذرع، ومن ذكره قال فى جمعه: ثلاثة ألسنة. وروى الأَلْسَنَ (بفتح السين) وهو الذّلِق الفصيح.

الفكرة التى يدور حولها المثل: الحبّ والشكوى بين السكوت والإعلان.

نثر المثل: يقول: غاية الحب أن يمنع لسان صاحبه من الكلام فلا يقدر على وصف ما فى قلبه منه، كما قال المجنون:

ولَمَّا شكوتُ الحُبَّ قالت: كذبتَنِي فمالي أرى الأعضاءَ منك كواسيَا؟!

فما الحبُّ حتى يلصَقَ الجلْدُ بالحشا وتخَرسَ حتى لا تجيبَ المناديا!